معرض

غرباء في وليمة الفاشية

من أنسليم كيفر إلى بول تسيلان

في معرضه الباريسي الحالي، «إلى بول تسيلان»، يقدّم الفنان الألماني أعمالاً تُحاور قصائد الشاعر الروماني في محوها وتلاشيها، وتستضيفها في مساحة اللوحة

جولان حاجي

كتب بول تسيلان: «لا أحد يشهد للشاهد»، «أبيض ما يدوم لي. أبيض ما أخسر». كان في بداياته قد كتب عن اثنين يتحايَان مثل خُشخاش وذاكرة، وينامان «نومَ النبيذ في المحارات/ نومَ البحر في شعاع القمر الدامي». تقلّصت قصائده في نهاية تطوافه بين اللغات؛ لم يبقَ للروماني في منفاه الفرنسي إلّا كلمات ألمانية قليلة أو أشطار كلمات. هيمَنَ التردّد شاملاً كلّ شيء في اللغة، حتّى حرف الجرّ وعلامة الترقيم. لعلّ الحذف المتواصل أحد هواجس تسيلان الذي ظلّ يمحو الشعريّة عن الشعر؛ لعل اختفاء الشاعر من قصيدته طريقةٌ أخرى في الظهور هي الأشقّ. يُهدي الفنّان الألماني أنسليم كيفر (1945) معرضه الباريسي الجديد إلى بول تسيلان (يُختتم اليوم في «القصر الكبير المؤقّت» بباريس): أعمال ضخمة، لوحات وتجهيزات داكنات يناهز ارتفاع بعضها عشرة أمتار. ربّما جرى توزيعها في فضاء القاعات، الفسيحة، عالية السقوف، خافتة الإنارة، ليتخيّل الزائر نفسه متنزّهاً داخل مقبرة التاريخ الواسعة، اختفت الحدود بين قبورها، وشواهد الموتى هي هذه الأنصاب بناورها الزوّار كأنهم في متاهة. إلغاء التفنّن لدى كيفر يأخذ منحى البروز، على الضدّ من تلاشيات تسيلان. الفنّان صانعُ أطلال تُدوّخ الناظرين بعليائها وشموخها، وربّما تهدّدهم بالانهيار فوق رؤوسهم. إنه سلطان الصانعين، مساحاته مغطّاة بطبقات من الطلاءات والصلصال والرمل والزفت والأشياء الميتة، يقتلع بالفأس والسكّين أشكالاً من جلد لوحته، الثخين كقشور الجراح المضمّدة، أو يحشو بدلات العمّال والجنود بباقاتٍ من السنابل ويعلّقها بالمشاجب إلى سور مهدّم، أو يعلّق زهرة خشخاش رفيعة طويلة، وحيدة في سماء الليل، أو فردات أحذية وصنادل معفّرة بغبار الخرائب، التصقت بأقواس المجرّات وقد غاب أصحابها، ومن حولها تحوم ذرات تبن بين النجوم. دوّن كيفر كلمات كثيرة على سطوح أعماله كخطوط بالطباشير على قماش الحداد. الفنّان الإمبراطور، سليل الضابط في الجيش النازي، يسكن، منذ ثلاثة عقود، في جنوب فرنسا التي أكرمت وفادته، ولا يزال منذ ستّة عقود مسكوناً بضدّه، الشاعر الصامت، تسيلان الأسر في ضعفه ودقّته وإقلاله، سليل الأبوين اليهوديّين القتيلين في معسكرات الموت النازية. ماضيان، شخصيّان وكونيّان، يتجابهان على الأرض القديمة إيّاها. لم يستطع الفنان ذو السطوة أن يستحوذ على سحر الشعر وقوّة صمته، بعدما جاب عوالم الأساطير الجرمانية وموسيقى فاغنر ومناظر كاسبر فريدريش والقبالة...

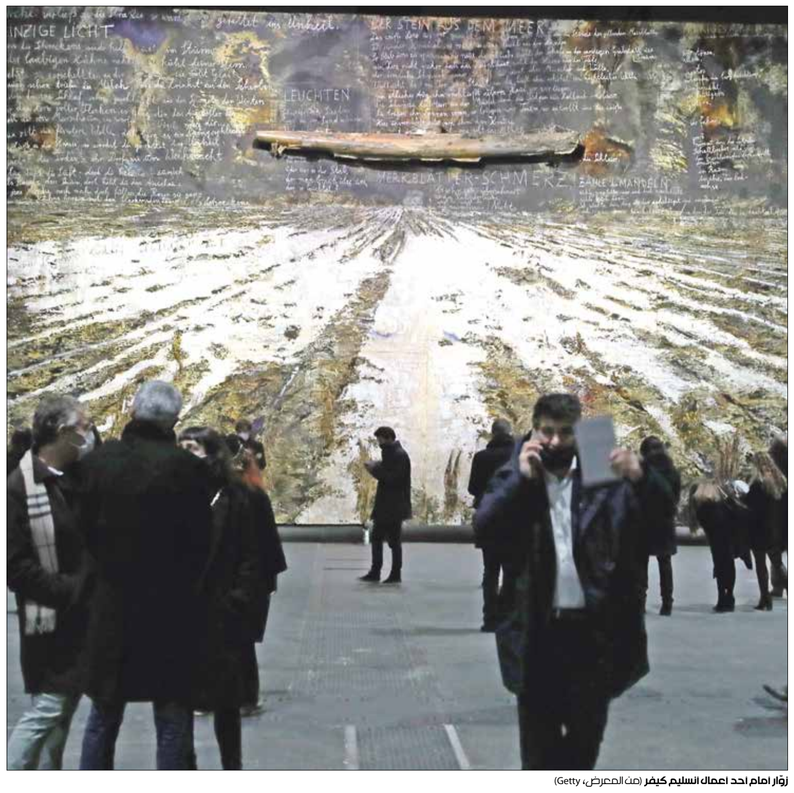

زوّار امام احد اعمال انسليم كيفر (من المعرض، Getty)

> لم تتوقّف الحرب، «بشائرُها» تُطلّ عبر أرجاء أوروبا

> غطى المنتصرون فظاعة الماضي بحجاب واهٍ من النسيان والتسامح

يشيّد كيفر صنمه الشخصي عبر تحطيمه الأصنام كلّها، كأنه التجلّي الجرماني لقوّة الإرادة. إنه، بدايه الجرماني، مواظب على تدمير المائر، وتمريغ الهالات بالوحل، ورشق ما نجا من الصُّروح برذاذ الدم والنفايات، هازئاً بخلود الأعمال الفنّية ورافضاً كلّ تنميق. خلف الجدارية الأضخم في المعرض تقع صالة الحُطام: صُفّت على أرففها العالية حقائب مترعة وأكياس وتوابيت ودمى وصناديق وادراج مفتوحة من البقايا والشظايا والزهور اليابسة. محتوياتها كانت الحياة. لكنّ التصانيف كلّها سُدى، قبض ريح أو قبض حرب. أحياناً، الذاكرة مكبٌّ لجبائر الكسور وفُتات المنازل، يعجز أصحابها وورثتها عن التخلّص منها. قماشة الفنّان ديست بالأقدام، سُحقت بعجلات الشاحنات وجنازير الدبّابات التي تلوح سيطانة إحداها في زاوية واحد من هذه الأعمال الشاهقة. سيّان العدمُ والقيامة.

تخلو أعمال كيفر من الإنسان. المرّة تلو الأخرى، الإنسان آتٍ أو راحل، لكنّه غائب في هذه اللحظة. حضوره هو سُلطة الخراب واندلاع الحرائق. المشاهد العمودية تستفزّ الناظر، مازجةً الرسم بالأدوات والنباتات: فأس تتوسّط السماء ومقبِضُها غصنٌ أعوج مورق، أو منجل صدئ تُقرب السراخس في رحابة الحقول. الحصاد انتهى. الثلوج اتّسخت. تلوذ العين بنقطة التلاشي في الأفق. الأمل هو التلاشي، الحقيقة الوحيدة التي يتحاشاها الجميع.

يغلي الكوكب بحمّ لا تراها العين، والأرض المزيّنة بالحدائق والعمائر سقفٌ جهنّم. يقول كيفر إن «الشبّان الأوروبيين غافلون عن أهوال الماضي القريب». لا ينسى المهزومون مرارة الدونية. المنتصرون، بشفاعة القوانين، غطّوا فظاعة الماضي بحجاب واهٍ من النسيان والتسامح. لم تتوقّف الحرب. «بشائرُها» تُطلّ في هذا البلد أو ذاك عبر أرجاء أوروبا. يبدو أن الفاشية استفاقت منتعشةً بعد القيلولة، وعمّا قريب سيُنهضها الجوع والظمأ إلى مستضعفين آخرين. دور مَن قد حان؟ مَن يدري إذا كان طُلّاب الفاشية، الإسْدَاء المرحون، سينطلقون إلى صيد الغرباء عبر شوارع القرى والضواحي، قبل أن يلتحقوا بالوليمة ويسهروا حتى مطلع الفجر، صاخبين وكلّ شاشته بيده في بثّ مباشر للواقع؟ يقول كيفر إنه يدقّ جرس الإنذار.

(شاعر ومترجم سوري مقيم في باريس)

لوحةٌ تتأسّس على الشِّعر

صحيحٌ أنّ لوحات انسيلم كيفر الضخمة، التي يقدّمها في معرضه «إلى بول تسيلان»، تعود إلى السنوات القليلة الماضية (بين 2015 و2021)، غير أنّ اشتغاله، كرسّام، على المتن الشعريّ الذي تركه الشاعر الروماني، يعود إلى بداية التسعينيات. في تلك الفترة، فرضت القصيدة نفسها فيها كمصدر إلهام أساسي في تجربة الفنان الألماني، حيث صارت لوحته مقولةً لونية لقصائد شعراء مثل النمساوية إنغبورغ باخمان والروسي فيليمير خليبنيكوف.

تصويب

كلّهم مرئيون

باسم النبريص

البنت فيديريكا ريفاس غونزاليس، مزنوقة والله. كلّما استدانت مبلغاً من العملة المعدنية، جاء الدائنون قليلو الصبر وطرقوا بابها، ثم سألوني، بوصفي جار غرفتها اللاصق، وأباها المتبتّي: أين راحت؟

وأنا بدوري، أفهم وأقترح عليهم جدولة ديونها بالراحة، وحبّة حبّة. فهي ليست دولة الأرجنتين، وهم ليسوا البنك الدولي.

وعلى الجانب الآخر من العملة، لم تتمكّن البنت الغلبانة، ولن تتمكّن من الخلاص، إلّا بالميل لأقدم سوساب في التاريخ. الأمر الذي إذا لم يحدث غداً، فسيحدث بعد غد، خاصّةً عندما تتلقّى الرفض الثاني. كما هو متوقّع، من وزارة الهجرة، فتحتاج إلى مال كي تسافر إلى إسبانيا، مثل غالب اللاجئين من قارّتها السمراء.

والله قلبي يقرصني على فيديريكا: هل هي جمّل كلّ هذه البهدلة في مجاري أوروبا البيضاء؟ مش لو فضلت في هندوراس، تعيش على كفاف الذرة، أحسن لها ولي، أنا الأب الذي تبتّتني بالعشم؟ هناك شيء أساسي، وهو عدم الاتّساق في سياسات الاقتصاد الكلّي في بلاد الهندوراس. هيكل الإنتاج غير متوازن، وكلّ شيء يعتمد على العملات الأجنبية. مشكلة لا توجد طريقة لحلّها إلّا ببيع الهوى. تمضي سنوات من النمّ، ثم يتفكّك كلّ شيء، ويعود إلى المربّع الأوّل. ماذا تفعل فيديريكا؟ هل عليها أن تختفي قبل أن تُصبح غير مرئية؟ ولكنّها بشر، وهذه مشكلة البشر الأحياء: كلّهم مرئيون.

(شاعر فلسطيني مقيم في بلجيكا)

قصائد

عندما أشتاق إلى أُمّي أفتحُ النافذة

كم رشة ملح وكم قطرة عسل

إكا كيفاشفيلي

عندما اشتاق أُمّي

الحقيقة أجدى.
عندما أشتاق إلى أُمّي، أفتحُ النافذة
واترك جبيني للريح.
الريح تأتي من حيث لا أدري وتنثر
الغبار على وجهي.
بينما أغمض عينيّ وأذهب لأُمّي.
ليس بوسعها أن ترآني، لكن كواحد من
كلابنا أتبعها، أرافقها إلى العمل.
أشاهدها وهي تقترب من كشك الجرائد
ومن البسطات في السوق،
ومن الجسر ومن المتجر،
أحياناً أشاهدها وهي تقف كتمثال عند
باب مديرها،
وأحياناً وهي تتبع طريقاً فوق التلّة
يقود إلى حقل ذرة.
أحرسها بعينيّ كي لا تكبر سهواً.
أُمّي لا تعرف ولا يجب أن تعرف
كيف عندما أغلق عينيّ أظهر قربها عند
طاولة المطبخ.
بهدوء. عند الزاوية.
أنظر إلى يديها، شَعرُها الذي لم
تصبغه،
وحدتها.
عندما تخذل أُمّي إلى النوم، افتح عيني
وأستدير إلى الجنب الآخر
هذه الأيام، كثيراً ما أجد نفسي مشتاقةً
إليها،
أمسك بالهاتف وأبحث عن اسمها في
جهات الاتصال.
أُمّي، اشتاق إليك. هاك الكلمات التي
أريدُ قولها، ثم أنهي المكالمة.
بعد ذلك، أريد أن أبكي معاً،
لأنّني أخيراً قلتها لك.
مُخزٍ أن أعترف
لكنّني بدلاً من قول تلك الكلمات، أسالك،
أُمّي، كم ملعقة من السكر تلزم.
كم رشة ملح.
وكم قطرة عسل.

أُمّي ستتأخر اليوم

أُمّي ستتأخر اليوم. مجدّداً.
كالعادة سأجلس عند النافذة
أنتظر بقعة صغيرة كذبابة مثلاً لتصير
أُمّي.
ما الذي يجعلها تتأخر كل هذا؟ - مربية
الروضة ستتذمر كالعادة
وبعد ذلك ستغفو وهي تحيك.
قبل أن تأتي أُمّي سأرسم رقاقات الثلج
على زجاج النافذة.
«لا تجعلي الزجاج يتسخ!» - تصرخ
المربية في وجهي
وهي تفتح عينها اليمنى فجأة كتنّين.
أتساءل لِمَ قد تعتقد المربيات أنّ رقاقات
الثلج قذرة
أو لِمَ عاقبن «ليلا جبريتشيدزه»
بالأمس؟
جعلوها تضع رأسها على الطاولة
النتنة
بعد أن رفضت أكل حساء النودلز
بالخضار
«أُمّي، كنت أرسم تلك الرقائق من أجلك»
، - سأقول لأُمّي حين تأتي. -
«أنا لا أخاف من تلك المربية.»
«أمّي، سأحتمل تلك الساعات بدونك، لا
تقلقي!»
عندما تأتي أخيراً، سأُبدي أسفها
بصوتها المنهك:
«اعذريني، عزيزتي، طالت مدة الاجتماع
في عملي.»،
ثم ستمسك بيدي وسنمشي على طول
الشارع الثلجي.
تطلب مني أن أخبرها عن يومي.
بداها دافئتان، هذا يعني أنّ قصة
خُرافية ذات النصف ساعة تنتظرني -
مدّة المشي في شارع في بلدة صغيرة
باتجاه المنزل.
«أُمّي، اتعلمين، أكل المعلّمون اليوم كعكة
عيد ميلاد نيكو كلها.
أعطونا، نحن الأطفال، فقط شرائح
رقيقة منها».
تمشي أنا وأُمّي بحذر على الطريق
الجليدي -
هذا هو الطريق المعتاد من الروضة إلى
البيت.
في البلدات الصغيرة نتحرك ببطء
مستعينين بحواف تمنع الانزلاق في
الشتاء.
إنه لأمر مدهش أن أمشي ببطء مع أمّي
من حين لآخر
أتمنى أن تتأخر مجدداً غداً،
سأروي لها الكثير من الحكايات ...
إذا حصل ذلك، فإن أصواتنا فقط هي
التي ستعبر صمم أمسيات الشتاء.
أحب أن أمشي مع أمّي عندما تكون
متعبة.
في بعض الأحيان لا يسعني إلّا أن أنظر
إلى الوراء وأرى -
يا خسارة، الثلج يغطي، بسرعة، آثارنا.

لا شيء أكثر، سيّدي

سيّدي العزيز،
فُكّ رباط حذائي.
رجلاي في الحذاء الأبيض أمامك.
منهكتان جداً تظهر عروقهما
بنفسجية منتفخة.
سيّدي، اخلع عنّي ملابسي، ماذا
تنتظر؟
هناك اثنا عشر زراً، فُكّها.
هذه الملابس الداخلية المرجانية،
هذا القميص المخطّط الذي يحوط
رقبتي بإحكام،
هذه الجوارب البيضاء
هذا الجينز المهترئ
الذي ارتديه لخمس دقائق، من أجل
يكفي أن ألبسه لخمس دقائق،
لأنزلق بسلاسة إلى عالمك الموازي
كأنني عبرت مرآة وتحوّلت إلى ماء.
سيدي العزيز،
وجهي تحت إمرة لسانك المتصلّب -
خلصني من المكياج الأزرق.
يا للعجب، اتساءل ما الذي سيبقى
مكان العيون.
لا تقلق بشأن الغبار
أثناء التنقل ذهاباً وإياباً بين هذه
العوالم،
أحياناً أكون على طريق ترابي -
سأتخلص منه.
سيدي، في الحقيقة أنا مواكبة سيئة
للموضة
لذا جرّدني من ملابسي برقة،
ولا تنزع أيّ زر
لأنه عندما ترحل،
عليّ أن أرتدي تلك الملابس مرة أخرى،
أدخل من باب آخر وأقول:
يا له من يوم مرير، لا تسألوني عن أيّ
شيء.

(ترجمة: يحيى عاشور)

بطاقة

Eka Kevanishvili شاعرة جورجية من مواليد العاصمة تبليسي عام 1979. تخرجت من كلية الصحافة عام 2002. صدرت لها عدة مجموعات شعرية: «إشاعة» عام 2006، و«لا تقف هنا» عام 2010، و«أبيع المنزل» التي حصلت على جائزة «سابا» الأدبية لأفضل مجموعة شعرية عام 2014، و«خطة إخلاء» عام 2016، بالإضافة إلى مجموعة قصصية وكتاب يضمّ مجموعة مقالات ولقاءات. تُرجمت قصائدها إلى الإنكليزية والألمانية والإيطالية والسويدية والروسية وعدة لغات أخرى.

إكا كيفاشفيلي (ت: بجورت ستينز)

كتاب

أليساندرو فانولي تاريخ قرنين عربيين في الجزيرة الإيطالية

استعادة صقلية الإسلامية

يضيء كتاب الباحث الإيطالي الذي صدرت نسخته العربية حديثاً مساهمة العرب المسلمين في تطوّر الجزيرة المتوسطية عمرانياً وثقافياً واجتماعياً

بغداد ـ العربي الجديد

يركّز الباحث الإيطالي أليساندرو فانولي (1969) على التأثيرات العربية الإسلامية في بناء حضارات البحر الأبيض المتوسط، منذ العصر الأموي وانتهاء بالدولة العثمانية، واستعادة التفاعل بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس والجنوب الإيطالي الذي كان له دوره الكبير في تطور الفكر والثقافة والفنون الأوروبية.

ووفق هذا المنظور تبدو الحضارة الإسلامية امتداداً لما سبقتها من حضارات قديمة وحلقة وصل لما أتى بعدها، مثلما يوضّح Alessandro Vanoli في عدد من مؤلّفاته مثل «الكلمات والبحر. ثلاثة اعتبارات تتعلق بالخيال السياسي لمنطقة البحر الأبيض المتوسط» (2005)، و«العرب والنورمانديون في صقلية» (2005/ مشترك)، و«هجرات البحر الأبيض المتوسط. بحر ينعكس فيه العالم» (2017)، و«طريق الحرير» (2017/ مشترك)، وغيرها.

صدرت حديثاً النسخة العربية من كتابه «صقلية المسلمة» عن «دار المأمون» في بغداد بترجمة أستاذ الدراسات الإيطالية والباحث العراقي بهاء نجم محمود، وكانت الطبعة الأولى من الكتاب نُشرت بالإيطالية عام 2012، وترجمت إلى لغات عدّة.

يشير المؤلّف إلى الموقع الجغرافي المتفرّد لجزيرة صقلية الإيطالية في البحر المتوسط، والذي دفع المسلمين إلى السيطرة عليها بعد انتزاعها من الإمبراطورية البيزنطية في القرن التاسع الميلادي ليستمر حكمهم فيها حتى القرن الحادي عشر حين غزا النورمانديون الجزيرة وأقاموا دولتهم فيها.

يدرس فانولي الحضور الإسلامي الذي لا يزال قائماً في صقلية على المستوى التاريخي والأثري والمعماري والثقافي، حيث لعبت الجزيرة دوراً كبيراً في نقل العلوم والآداب والفنون والعمارة والأزياء والأطعمة بين أوروبا وممالك إسلامية عديدة طوال تلك المدة.

> لعبت الجزيرة دوراً في نقل العلوم بين العالم الإسلامي وأوروبا

يتناول الفصل الأول العلاقات بين الإمبراطوريتين الرومانيتين الشرقية والغربية، والصراع بينهما على صقلية والذي انتهى إلى سيطرة الأولى عليها، لكنها ستتحوّل إلى قاعدة عسكرية شهدت توترات دائمة في وقت لاحق، ثم يضيء الفصل الثاني صعود الإسلام والهوية العربية الأمازيغية المختلطة في شمال أفريقيا والدول المتعاقبة على حكم المنطقة وصولاً إلى الأغالبة.

يوضح الفصل الثالث العلاقات بين الصقليين والمسلمين خلال الحكم البيزنطي حيث الرحلات الاستكشافية الأولى والتواصل التجاري، بينما يقدّم الفصل الرابع مرحلة الحكم الإسلامي للجزيرة وما حولها من جزر مثل مالطا، وكيف وُلد مجتمع صقلي جديد.

يستعرض الفصل الخامس حكم الأغالبة للجزيرة الذي اعتمد على المذهب المالكي في القضاء، ويبيّن الفصل السابع فترة حكم الفاطميين لصقلية، ثم يدرس فانولي في الفصل الثامن تعريب الجزيرة وأهمّ مظاهره الثقافية، وينتقل في الفصل التاسع إلى إضاءة دور اليهود في تلك الفترة، ويكشف الفصل العاشر عن طبيعة حكم المسلمين وإدارتهم لشؤون الزراعة والمياه والصناعة.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

المؤرخ الإيطالي اليساندرو فانولي (Getty)

فعاليات

تنطلق، بعد غد الخميس، فعاليات **مهرجان سندانس السينمائي**، وتتواصل حتى الثلاثين منه. كان مقرّراً تقديم المهرجان، الذي يُقام منذ عام 1978 في جبال يوتا الأميركية، بصيغتَين حضورية وافتراضية، لكنّ القائمين عليه قرّروا تنظيم أنشطته عبر الإنترنت حصراً، بسبب تفشّي متحوّر «أوميكرون».

تحت شعار **المسرح في كلّ حالاته**، تنطلق اليوم الأربعاء في «قاعة أطلانتس» بمدينة أقبو في ولاية بجاية الجزائرية، فعاليات الدورة الثانية عشرة من «المهرجان الدولي للمسرح المحترف»، بمشاركة عروض من ستّة بلدان: تونس ومصر وروسيا والسنغال وبوركينافاسو، إضافة إلى الجزائر. تكرّم الدورة الممثّلة المسرحية **دليلة حليلو** (الصورة)، والممثّل الراحل **احسن مقراني**.

الزمبلك عنوانُ معرض للتشكيلي والمصوّر المصري **ايمن لطفي** يُفتتح اليوم في «قاعة الزمالك للفنّ» بالقاهرة، ويتواصل حتى نهاية الشهر الجاري، ويضمّ مجموعةً من أعماله الجديدة. «الزمبلك»، حسب تقديم المعرض، هو «كناية عن الأشياء التي نزرعها في الآخرين، وكذلك ما يتركونه بداخلنا».

يُقيم فضاء «B7L9» الثقافي بمدينة المرسى بالقرب من تونس العاصمة احتفاليةً لمناسبة **مرور 149 سنة على ميلاد المخرج والمصوّر التونسي البرت سمامة شكلي** (1872 - 1934/ الصورة)، تتضمّن عرضاً لعدد من أفلامه؛ منها «عين الغزال» و«قرطاج» (1923)، و«زهرة» (1922) الذي يُعدّ أوّل فيلم سينمائي تونسي.